

حج الحياة الحقيقية في الله في موسكو، 2-10 أيلول 2017

كيف نبني الجسور بين انقساماتنا ونحقق السلام في العالم؟

رئيس الأساقفة مارتين س. جومواد
رئيس أساقفة أوزاميس، الفلبين

يوم سعيد لكل واحدٍ منكم! لقد طُلب منِّي أن أتكلّم عن موضوع: "كيف نبني الجسور بين انقساماتنا ونحقق السلام في العالم". لا أدعي بأنني خبيرًا في هذا الموضوع وفي الواقع، في حياتي اليومية، أجاهد حتى أعيشه.

إسمحوا لي أن ألفت انتباهكم إلى السفر الأول من كتاب المسيحيين المقدّس، وخاصة في سفر التكوين 2: 18-24. يطلّنا الكتاب هنا بأن الله خلق الرجل والمرأة على صورته ومثاله. ليسا في عزلة ولكن في تناغم مع بعضهما البعض - حيث الحرية مضمونة (في جنّة عدن)، وعدة أنواع طعام (أشجار الجنّة)، والعمل (الوصيّة بأن يحرث الأرض)، وفوق كل ذلك: الجماعة (هبة شخص آخر يشبهه) تكوين 2: 18-24.

ولكن، من خلال عصيان آدم وحواء، دخلت الخطيئة إلى العالم. وتفاقم ذلك عندما رفض الإنسان أن يقبل وضعه كمخلوق في واقعة برج بابل (تكوين 11: 1-9). في المخطط الإلهي، كان لجميع الشعوب "لغة واحدة" والكلمات نفسها، ولكن الإنسانية أصبحت منقسمة وأدارت ظهرها لخالقها. ولكن الله القدير لم يتخلى عنّا أبدًا؛ فقد أرسل رجالاً ونساءً ليقودونا على طريق البرّ حتى نحيا بسلام، وتناغم، وحب، وتفاهم، الخ.. بين بعضنا البعض.

إن مهمة نشر السلام، والتناغم، والحب، والتفاهم، الخ.. تقع على عاتق كلّ واحد منّا. الجوانب التالية هي المساحات حيث يمكننا أن نجعل من "بناء الجسور بين انقساماتنا" أمرًا ملموسًا فنُحرز بذلك السلام:

1- في العائلة، يجب على الأهل أن يعلّموا أولادهم أن يرحموا ويغفروا:

في 30 تشرين الثاني 2016، تركتُ منصبِي السابق حيث أمضيت أكثر من 33 سنة (19 سنة كاهنًا، و14 أسقفًا على مطرانية إيزابيلا دي باسيلان)، وتوليتُ منصب رئيس الأساقفة في مطرانية أوزاميس. أذكر ذلك أن باسيلان، قبل عام 1972، كانت مكانًا آمنًا، حيث يعيش المسيحيون والمسلمون مع بعض بتناغم. ولكن، عندما أتى المسلمون المتشدّدون من أفغانستان إلى باسيلان في بداية الثمانينات وعلّموا المسلمين أن يكرهوا المسيحيين، أصبحت العلاقة بين المسلمين والمسيحيين سيئة. الآن، أصبح التحزّب أكثر حدّة بسبب التجارب المؤلمة التي أدت إلى القتل المتبادل. تقعُ باسيلان في مينداناو حيث يرتاب المسلمون والمسيحيون كلاهما من

بعضهم البعض. على ذلك أن يتوقف. والشفاء ممكن عندما يبدأ الأهل، من المسلمين والمسيحيين، بسرد قصص على أولادهم عن كيف كانوا يعيشون في الماضي في وقت السلام، والرحمة، والحب والمغفرة في وسط الجماعة. علينا أن نتذكر أن الطفل يتلقى أفكاره التأسيسية الأولى بخصوص الحقيقة والصالح في العائلة. ففي العائلة يتعلم الطفل معنى أن يجب وأن يحب. على الأهل أن يخبروا أولادهم قصصاً عن كيفية تقوية روابط السلام والتناغم عوضاً عن القصص التي تُشعل الكراهية والانتقام. الأمل كبير في إمكانية بناء الجسور بين انقسامنا والوصول إلى السلام إذا أظهر الأهل من خلال حياتهم، أمام أولادهم، الرحمة، المغفرة، الحب، الاحترام، التناغم، التفاهم، التعاون والوحدة.

2- جانب آخر بإمكانه بناء الجسور بين انقسامنا وتحقيق السلام للعالم هو من خلال الأعمال الخيرية وأعمال اللطف:

لماذا لا يكون اللطف طريقتنا في الحياة؟ في أعماقنا توجد الفطرة للمساعدة والتواصل لمد يد المساعدة. في أعماق ذاتنا يوجد أيضاً صوتٌ خافت يطلب منا الانتظار، وإلا سنكون عرضة للمساءلة في حال وجود مشاكل.

في ماراوي، لاناو ديل سور، مينداناو، الفلبين، أرادت جماعة الماوتي (الموالية لداعش) أن تؤسس دولة إسلامية ونتيجة لذلك لدينا الحرب في ذلك القسم من مينداناو وتم إعلان الحكم العسكري هناك من 23 أيار 2017 حتى 31 كانون الأول 2017. سقط لجماعة الماوتي الإرهابية العديد من الضحايا وكذلك للجيش الفلبيني. كما ومات أيضاً المدنيون في هذه الحرب. عندما بدأت، في 23 أيار 2017، وقع بعض التلاميذ تحت الحصار لأنها كانت فترة التسجيل في المدارس. أحد التلاميذ المسيحيين، وفي مقابلة على وسائل الإعلام، شكر تلميذاً مسلماً لأنه حمّاه وخلصه/أنقذه أثناء تلك العملية. قال التلميذ المسيحي:

"أشكر الله أنني حي. وهذا لأن الله استخدم تلميذاً مسلماً ليحميني وينقذني من جماعة الماوتي الإرهابية. من دون مساعدته، لكنت ميتاً الآن."

ندرك هنا بأن أعمال اللطف أو الأعمال الخيرية تحظى دائماً بالتقدير. هذه نصيحة أحد الكُتّاب أوغ ماندينو (Og Mandino):

"بدءاً من اليوم، عامل جميع الذين تلتقي بهم كما لو أنهم سيموتون في منتصف الليل. امنحهم جميعاً كل العناية، اللطف والتفاهم الذين يمكنك أن تستجمعهم، وافعل ذلك من دون أن تفكر بأية مكافأة. وهكذا لن تبقى حياتك أبداً كما كانت في السابق."

لماذا لا يكون اللطف طريقتنا في الحياة؟ لماذا تأجيل الأعمال الخيرية؟ إن أعمال اللطف يمكنها أن تبني الجسور بين انقسامنا وبذلك نستطيع تحقيق السلام.

3- الحوار

هذه النقطة مهمة جداً في بناء الجسور بين الانقسامات وفي تحقيق السلام في العالم. بعبارة أخرى، الحاجة إلى الحوار. فنحن بحاجة لأن نستمع للآخرين ونسمح للعقل أن يحكم فينا. لا يجب أن نصبح عاطفيين ولا يجب أن نسمح أبداً للعواطف بأن تسود. عندما نتكلم، علينا بأن نفتح ذواتنا ونضع التحيزات جانباً. لا يجب أن نحكم على الآخرين مسبقاً. فلا يجب أن يشعر أحداً بأنه أفضل ولكن بالأحرى يجب أن يشعر المرء بأنه على قدم المساواة مع الآخرين. فإنّ الشعور بالتفوق يُعيق الحوار؛ والمساواة تخدم كأساس للحوار.

لا تدعوا الذكريات المؤلمة تبقى موجودة في وعينا. فإذا لم يتم شفاء الذكريات المؤلمة، لن نستطيع أبداً المشاركة في الحوار.

في باسيلان، أغلبية الكنهة يقبلون بالمبدأ الحاجة للحوار ولكن قلبهم يرفض القيام به. وذلك لأنّ قطع رؤوس المحتجزين من قبل "أبو سيّاف" ما زال مستمراً. مؤخراً، في 20 تموز 2017، تمّ خطف 7 مزارعين كاثوليك ومن ثم، لأنهم لم يستطيعوا دفع الفدية، تمّ قطع رؤوسهم. إنّ الاكليروس في باسيلان مع الحوار ولكن قلبهم يرفض القيام به. الحوار مهم جداً في بناء الجسور بين الانقسامات وتحقيق السلام.

4- أن نكون غفورين ورحومين

لقد اختبر الجميع التعرض للأذى من قبل شخصٍ آخر. هذا شيء طبيعي خلال تعاملنا مع بعضنا البعض. ومع ذلك، يجب أن نتحلّى بقلبٍ متسامح ورحيم. إن لم نستطع أن نغفر فهذا يؤدي للكرهية حيث قد يبدأ الشخص بالتخطيط للانتقام. بكل تأكيد، نحن بحاجة أن نمتلك قلباً متسامحاً ورحيماً.

يقول البابا فرنسيس: "قليلٌ من الرحمة يجعل العالم أقل قساوة وأكثر عدلاً."

قد يظن الناس بأننا حمقى عندما نغفر لمن أساء إلينا. ولكن أن نغفر فهذا أمرٌ مقدّس. إنّ قلب الانجيل يتعلّق بالرحمة والمغفرة. يمكننا أن نفوز بالثقة إذا كُنّا رحومين وغفورين. هذه إحدى الطرق لبناء الجسور بين انقساماتنا وتحقيق السلام في العالم.

5- جانب آخر من جوانب بناء الجسور بين الانقسامات وتحقيق السلام في العالم هو عندما نقبل اختلافات الآخرين.

كلّ شخص فريد من نوعه. لدينا أشكال تعبير عن الحياة فريدة من نوعها. طالما تشجّع طرُقنا الصداقة والتناغم، لا يجب أن نخجل من أن نُقدّم أنفسنا للآخرين، ونقبلهم ونمنحهم الأهمية.

وأختم قائلاً أنّه يجب علينا أن نُشارك ونُساهم بفعالية في نشاطات المنظمات التي تُرّوج للسلام. حتى لو واجهتنا العوائق ونحن نقوم بذلك، علينا أن نستمر. وفي الوقت نفسه، نصليّ لله القدير ليمنحنا السلام.

يجب أن تكون نشاطاتنا وجهودنا مرتكزة على الصلاة. إنّهُ "رئيس السلام" ومانح السلام! إنّهُ إله السلام! كلّ جهودنا لن تؤول إلى شيء إذا لم نكن راسخين في الله القدير. علينا أن نصليّ! إذا قمنا بكل شيء، فلنرفع إذاً هذا الأمر لله القدير. فلنقم بالجزء المطلوب منّا والقدير سيباركهُ.

يجب أن يبدأ، كلّ ما قلته، من داخل ذاتنا. اسمحوا لي أن أخبركم هذه القصة:

أردتُ أن أُغيّر العالم

الكاتب: راهب مجهول، 1100 ب.م.

"عندما كنتُ شاباً، أردتُ أن أُغيّر العالم.

وجدتُ أنّه من الصعب تغيير العالم، فحاولت تغيير دولتي.

عندما وجدتُ أنّي لا أستطيع تغيير دولتي، بدأتُ بالتركيز على بلدي. لم أستطع تغيير بلدي، وبعد أن كبرت حاولت تغيير عائلتي.

الآن، وأنا شيخ، أدرك أن الشيء الوحيد الذي يمكنني تغييره هو ذاتي، وفجأة، أدرك أنّهُ لو أنّني غيّرت ذاتي منذ زمن بعيد، لكنّني أحدثتُ أثراً في عائلتي. وأنا كُنّا أحدثنا أثراً في بلدي. وهم بدورهم لكانوا أحدثوا أثراً في دولتي، وكنتُ غيّرتُ العالم بالفعل."

إخوتي وأخواتي، دعونا نساهم بشيء لبناء الجسور بين الانقسامات وتحقيق السلام. على ذلك أن يبدأ في داخلنا.